

## أضواء البيان

@ 37 @ في آيات كثيرة كقوله : { وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ

يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا  
الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ } ونحوها من الآيات ، وبين نصحه لهم في آيات كثيرة كقوله :  
{ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُمْ مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ  
نُوحٍ أَوْ قَوْمِ هُودٍ أَوْ قَوْمِ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ }  
، وقوله تعالى : { فَكَيِّفَ عَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ } أنكر نبي ﷺ شعيب عليه  
وعلى نبينا الصلاة والسلام الأسى أي الحزن على الكفار إذا أهلكهم ﷺ بعد إبلاغهم ، وإقامة  
الحجة عليهم مع تماديهم في الكفر والطغيان لجأجا وعنادا ، وإنكاره لذلك يدل على أنه  
لا ينبغي ، وقد صرح تعالى بذلك فنهى نبينا صلى الله عليه وسلم عنه في قوله : {

وَلَا يَزِيدَنَّ كَذِبًا مِّنْهُمْ مَّا أُنْزِلَ إِلَّا لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَئِيْلٌ عَلَيْهِم مَّا  
وَكَفُّرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } ومعنى لا تأس : لا تحزن ، وقوله  
: { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ } . ! 77 ! قوله تعالى : { تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ  
عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا } . .

ذكر أنباءهم مفصلة في مواضع كثيرة . كالآيات التي ذكر فيها خبر نوح وهود ، وصالح ولوط  
، وشعيب وغيرهم ، مع أممهم صلوات الله وسلامه عليهم . .

قوله تعالى : { فَمَا كَانَ زُؤًا لِّیُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ } . في هذه  
الآية الكريمة للعلماء أوجه من التفسير : بعضها يشهد له القرآن . .

منها : أن المعنى فما كانوا ليؤمنوا بما سبق في علم الله يوم أخذ الميثاق أنهم يكذبون  
به ، ولم يؤمنوا به ، لاستحالة التغير فيما سبق به العلم الأزلي ، ويروى هذا عن أبي بن  
كعب وأنس ، واختاره ابن جرير ، ويدل لهذا الوجه لآيات كثيرة كقوله : { إِنَّ السَّادِّينَ  
حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ } ، وقوله : { وَمَا تُغْنِي  
الْآيَاتُ وَالذُّرُّ عَنْ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ } ونحو ذلك من الآيات . .

ومنها : أن المعنى الآية أنهم أخذ عليهم الميثاق ، فآمنوا كرهاً ، فما كانوا ليؤمنوا  
بعد ذلك طوعاً . ويروى هذا عن السدي وهو راجع في المعنى إلى الأول . .

ومنها : أن معنى الآية أنهم لو ردوا إلى الدنيا مرة لكفروا أيضاً ، فما كان ليؤمنوا في  
الرد إلى الدنيا بما كذبوا به من قبل أي في المرة الأولى . .

ويروى هذا عن مجاهد . ويدل لمعنى هذا القول قوله تعالى : { وَلَوْ رُدُّوا

لَعَادُوا° لِمَا زُهِوا° عَندهُ { . لكنه بعيد من ظاهر الآية .